# المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الجاحظ - الجمهورية العراقية

المجلد التاسع - العدد الأول - ١٤٠٠ - ١٩٨٠

1

WWW.ATTAWEEL.COM

أسماء الكتب محمد

# أحمد بن ابراهيم بن الجزّار القيروانيّ

## سيرته ومؤلفاته

بقلم الدكتور

سلمان قطاية

كلية الطب في حلب

الجمهورية العربية السورية

هو احمد بن ابراهيم بن ابي خالد بن الجزار ويكنى بابي جعفر .

كان عمه ابو بكر محمد بن خالد بن الجزار طبيبا ايضا تلقى الطب عن اطباء القيروان ممن سبقوه امثال اسحاق بن عمران ( وهو مسلم رغم ان اسمه قد يدل على انه من اهل الذمة ) ، واسحق بن سليمان الاسرائيلي ، وزياد بن خلفون وغيرهم . ويذكره احمد مرات عديدة في كتبه ، فيقول في كتاب « في المعدة وامراضها ومداواتها » هذه صفة شراب ( او لخلخ او دهون ) الفه عمي محمد بن احمد ، ويصفه في « نصائح الابرار » فيقول « كان عمنا عالما بالطب حسن النظر فيه » .

اما ابوه ابراهيم فقد كان طبيبا كحالا زاول المهنة مع اخيه .

ويؤكد هذا ما قاله ابن جلجل في ترجمته لاحمد « هو طبيب بن طبيب وعمه ابو بكر طبيب ».

ولقد عرفه الغرب بسبب ترجمة كتابه الشهير « زاد المسافر » الى اللاتينية والعبرية ، وعرفت تحت اسم :

Aburafar, Ybnezizar, Algisar : Ahinhale Ybxeyzar, Hahme Cubinsi Brafin, Abin Cali,

وهو اشهر اطباء مدرسة القيروان التونسية التي ضمت بين جنبيها عددا وافرا من الأطباء الكبار امثال : اسحق بن عمران ، واسحق بن سليمان ، وعائلة الجزار ، وزياد بن خلفون ، والفضل بن علي بن ظفر .

وعندما يحاول الباحث دراسة سيرة احد مشاهير العرب يجد نفسه امام عدة معضلات :

١ ـ تضارب تواريخ الولادة والوفاة ، وصعوبة التدقيق فيها .

٢ ـ تضارب الحوادث ، وصعوبة تصديقها كما وردت .

٣ ـ تناقل الخبر عن مصدر واحد او مصدر واحد او مصدرين مع تكرار القصة نفسها والاخطاء نفسها .

هذه المعضلات الثلاثة توجد ايضا فيما يخص سيرة ابن الجزار .

فاذا اخذنا تواريخ الولادة والوفاة وجدنا ما يلي :

| المصدر | تاريخ الولادة | تاريخ الوفاة |
|---|---|---|
| (٢) ابن عذاري(*) | — | ٣٦٩هـ |
| (٣) صاعد الأندلسي | — | — |
| (٤) ابن جلجل | — | يذكر انه عاش ثمانين عاما |
| (٥) ابن ابي اصيبعة | — | يذكر انه عاش ثمانين عاما ونيف |
| (٦) ياقوت | — | ٣٣٨هـ |
| (٧) الصفدي | يذكر انه كان موجودا ايام المعز في حدود سنة ٣٥٠ او ما قاربها . | |
| (٨) حاجي خليفة | — | ٤٠٠هـ مقتولا بالاندلس |
| (٩) لوكلير | — | ٤٠٠هـ |
| (١٠) سارتون | — | ٤٠٠هـ |
| (١١) بروكلمان | — | ٣٩٥هـ |
| (١٢) سيزكين | — | ٣٦٩هـ |
| (١٣) حسن حسني عبدالوهاب | ٢٨٥هـ | ٣٦٩هـ |

ثم توجد وقائع اخرى ذات اهمية :

فقد اكد ابن ابي اصيبعة انه مات عن سن تناهز الثمانين سنة .

ويروى المقريزي(١) وابن الاثير(٢) الحكاية التالية : « ان المنصور العبيدى اعتل علة شديدة ووصل الى المنصورية فاراد عبور الحمام فغثيت الحرارة الغريزية منه ولازمه السهر ، فاخذ طبيبه يعالج المرض دون السهر فاشتد ذلك على المنصور وقال لبعض خواصه : اما في القيروان طبيب غير اسحاق ؟ فاحضر اليه شاب من الاطباء يقال له ابو جعفر احمد بن ابراهيم بن ابي خالد الجزار(*) . فامر باحضاره وشكا اليه مما يجده من السهر ، فجمع له اشياء مخدرة وجعلت في قنينة على النار وكلفه شمها فنام ، وخرج وهو مسرور بما فعله . فجاء اسحاق ليدخل على المنصور فقيل له: انه نائم ، فقال : ان كان صنع له شيء ينام منه فقد مات . فدخلوا عليه فاذا هو ميت ، فدفن في قصره . واراد قتل ابن الجزار الذي صنع له المنام فقام معه اسحاق وقال : لا ذنب له وانما داواه بما ذكره الاطباء ، غير انه جهل اصل المرض وما عرفتموه ، وذلك انني في معالجته اقصد تقوية الحرارة الغريزية وبها يكون النوم ، فلما عولج بما يطفئها علمت انه مات » .

هذه الحادثة تؤكد على ان ابن الجزار كان قد اصبح طبيبا شابا في مقتبل العمر عام وفاة المنصور أي سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢م ، اي فلنقل انه كان في العشرين من العمر ، معنى هذا انه ولد حوالي عام ٣٢٠هـ ؛ وبما انه عاش ثمانين عاما ، فيكون عام وفاته هو ٤٠٠هـ ، كما ذكر حاجي خليفة .

ويؤكد لوكلير(٣) في كتابه « تاريخ الطب العربي » هذا التاريخ اذ يقول : « يحدد السيد دوسلان عام وفاة ابن الجزار ، عن الذهبي ، سنة ٣٥٠ هجرية الموافقة لسنة ٩٦١ ميلادية . وانه نسي ابن خلكان دون شك ان يذكرها .

اما بالنسبة لنا فاننا نرفض هذا التاريخ وهاكم السبب : راينا في سيرة اسحق بن سليمان، انه كان يعيش عام ٣٤١ هجرية / ٩٥٢ ميلادية وهو عام وفاة مريضه الامير الفاطمي المنصور ،

---

(*) يقتضي السياق ان يكون هناك ما يستقيم مصدرا اولا .. ولكن الاستاذ صاحب البحث تجاوزه الى المصدر الثاني .. ولا ندري لماذا . ( المورد )

(*) — ورد هذا الاسم بهذا التفصيل عند المقريزي ، وتحت اسم : ابراهيم فقط عند ابن الاثير ( ج ٦ ص : ٢٤١ )

وانه عاش ، على ما يقال ، اكثر من مئة سنة . ومهما يكن امر عصره ، فباستطاعتنا بسهولة ان نقبل ان اسحق بن سليمان قد عاش بضعة سنوات بعد وفاة المنصور فوصل الى عام ٩٦١م (٣٥٠هـ) على الاقل . ومن ناحية اخرى ، يبدو لنا من المعقول ان نقبل بان ابن الجزار تلميذ اسحق ، قد عاش اكثر من استاذه بما لا يقل عن جيل . لذا يبدو لنا انه من الانسب الاعتماد على التاريخ الذي ذكره حاجي خليفة » .

اذن : تاكيد وفاة ابن الجزار بعام ٣٩٠هـ يعتمد على الحكاية التي ذكرها المقريزي .

ولكن هذه الحكاية قابلة للطعن من عدة وجوه:

اولا : من الناحية الطبية العلمية . يذكر لنا الدكتور حسن ابراهيم حسن(٤) ان المنصور « مات في يوم الجمعة آخر شوال سنة ٣٤١هـ ودفن بالمهدية . وقد قيل في سبب موته انه خرج من المنصورية حاضرة ملكه للتنزه فاشتد هطول المطر وهبوب الريح ، حتى فاجاه المطر واوهن جسمه ، ومات اكثر من كان معه ... »(**)

والذي نستطيع تشخيصه في هذه الحالة وخاصة ان المنصور لما يجاوز الاربعين من العمر ، انها حالة التهاب رئة وتصبات فوق الحاد او الحاد .

ونحن نعلم حسب القول الطبي الفرنسي المشهور انه « عندما تكون النار في الرئة ، فالخطر يكمن في القلب » .

فلا بد ان سبب موت المنصور هو اختلاط قلبي اودى بحياته كما اودى بحياة « اكثر من كان معه » .

اما دخوله الحمام ، فهو يعتمد على المبدا البقراطي في المعالجة اى المعالجة بالاضداد . فبما ان سبب اصابته كان البرد ، فيجب مداواته بالحرارة اي بالحمام .

وربما كان دخول الحمام العربي المعروف بارتفاع الحرارة فيه ، وكثرة البخار ، سببا زاد في اضعاف قوى المريض المنصور فاودى بحياته.

اما « القنينة » التي رضعت على النار وفيها « اشياء مخدرة » ليشم منها المريض فهي طريقة كانت مستعملة حتى الى فترة غير بعيدة وهي ترطيب جو الغرفة وتقطيرها لكي يسكن السعال وألم الصدر . والادوية التي تستعمل في مثل هذه الحالات هي اعشاب صدرية عطرية لاخطار منها البته . اما القول بان شمها يسبب النوم فلدى مراجعة الادوية المخدرة عند العرب لا نجد من بينها مخدراً ينوم المريض بمجرد استنشاقه . فلقد كانت المواد المستعملة امثال : الشوبكران ، والخشخاش ، والبنج ، وست الحسن ، كلها تستعمل اما مرضيا واما عن طريق الفم(٥) .

واول غاز اكتشف هو الاثير Ether من قبل وليام مورلون عام ١٨٤٦ ثم اعقبه سمسبون عام ١٨٤٧ باستعمال الكلوروفورم .

وعلى فرض ان المادة التي احتوتها القنينة هي مادة الاثير ، فهل يعقل ان توضع على النار ، والاثير مادة طيارة متفجرة ؟! .

لابد ان اسحق بن سليمان الاسرائيلي فوجيء بعدم شم الاثير استدعى تلميذه بدلا عنه ، اي انه فضله عليه . مما اثار حفيظة الاسرائيلي الذي عد هذا العمل اهانة له ، وربما كان ولا بد ، قد لاحظ نبوغ وذكاء ابن الجزار ، لذا فقد تحركت الغيرة والحسد في قلبه ، فكان اول رد فعل له هو محاولة ايذاء ابن الجزار او على الاقل التقليل من اهميته فقال ما قال . وعندما راى ان الامر انقلب الى جد وانه سيودى بحياة تلميذه تراجع عن اتهامه .

واعتقد انه ربما كانت القصة كلها مختلقة . فلم يدع ابن الجزار ، ولم يتكلم الاسرائيلي . انما اختلقت هذه الحكاية فيما بعد من قبل زملاء ابن الجزار الذين ازعجتهم شهرته ، وعلو شانه ، وعدد المرضى الكبير الذين كانوا يقصدونه ، حتى اصبح غنيا موسرا شهيرا .

فاذا اضفنا الى ذلك ان سن ابن الجزار كان كسن كل العلماء الحقيقيين يحبون انزواء والوحدة للاكباب على الدراسة و[illegible] العناية بمرضاهم وتلامذتهم وتآليفهم ، كما انه كان ابي النفس فلم يكن من هؤلاء الاطباء يقفون على الباب ويتمسحون بالاعتاب ، ويمشون في الركاب .

وربما كانت هذه الطباع الراقية قد فسرت من قبل الكثيرين من الحساد والاعداء على انها نوع من التكبر والغرور والترفع ، مما زاد في ضغينتهم وحقدهم ، فانبروا يروون امثال هذه القصص .

(**) ويقول ابن الاثير ( ج ٦ ص ٣٤١ ) « فاصابه في الطريق ريح شديد وبرد ومطر ودام عليه فصير وثلج وكثر الثلج فمات جماعة من الذين معه » .

وتناقلها المؤرخون واحدا اثر الآخر كنادرة او ملحة يتنادون بها ، دون تمحيص او نقد او تدقيق ، كما كانت عادتهم في ذلك الزمان ، بل حتى يومنا هذا اذ اننا لانزال نراها تتردد في الكتب الخاصة بحياة ابن الجزار .

ولكن توجد بضعة اخبار تجعلنا نشك في هذا التاريخ :

أ ـ ان عمرو بن بريق تتلمذ عليه ثم خدم عبدالرحمن الثالث الاندلسي ( كما سيأتي فيما بعد ) والذي عاش من ٣٠٠ ـ ٣٥٠هـ[٦] .

ولنفرض جدلا ان عمرو خدم عبدالرحمن عشرة او خمسة عشر عاما معنى هذا انه تتلمذ على ابن الجزار حوالي عام ٣٣٠ أو ٣٣٥ ، وليس من المعقول ان يكون ابن الجزار قد اصبح علما من اعلام الطب الذين يقصدهم التلامذة من الأندلس اذا بلغ سن النضج من عمره ولنقل على اقل تقدير ٤٠ او ٤٥ عاما من حياته ، معنى هذا انه ولد حوالي عام ٢٩٠هـ او ٢٨٥هـ ، وهو التاريخ الذي يحدده المؤرخ التونسي الأستاذ حسن حسني عبدالوهاب في كتابه ، دون ان يذكر الاسباب والبراهين !

**وينتج عن ذلك ان سنة وفاته هي ٣٦٩هـ .**

٢ ـ ان التميمي ذكره في كتابه ( المرشد )، وكان معاصرا له ( توفي عام ٣٧٠هـ )[٧] .

٣ ـ تذكر المصادر انه خدم ايام المعز[٨] ، وكانت مدة ولاية المعز ( معد ابو تميم ) من ٣٤١هـ الى ٣٦٥هـ .

٤ ـ اطلع ابن الجزار على كتاب الحروف للقزاز وقال عنه « ما علمت نحويا الف شيئا من النحو على هذا التاليف .. » ومؤلف كتاب الحروف هو القزاز الذي الفه للعزيز بن المعز ، واكمله عام ٣٦١هـ[٩] .

٥ ـ ويقول د. محمد الحبيب بوعيله[١٠] عن سبب التاريخ الذي اورده حاجي خليفة انه « خلط بين مؤلفنا وبين ابي عثمان الجزار ( او الخزار ) الطبيب الاندلسي الملقب باليابسة والذي كان من اطباء عبدالرحمن الناصر ، وقد تتلمذ ابو عثمان هذا على نيقولا الراهب الذي وصل الى قرطبة سنة ٣٤٠هـ » .

٦ ـ يذكر كل من ياقوت والصفدي انه كان حيا عام ٣٥٠هـ .

٧ ـ يذكر ابن جلجل في كتابه « طبقات الأطباء » انه « عاش نيفا وثمانين سنة ولما مات ... » معنى ذلك انه مات قبل تاليف كتاب الطبقات اي قبل عام ٣٧٧هـ[١١] .

٨ ـ مدح الشاعر كشاجم(***) كتابه « زاد المسافر » مخاطبا اياه مباشرة . وكشاجم توفي عام ٣٦٠هـ .

ومن هذه القصص ايضا القصة التي يرويها المالكي في كتابه رياض النفوس[١٢] « قال الشيخ ابو الحسن : ومرض ( الحواري ابو بكر يحيى بن خلفون المؤدب ) مرضة شديدة اشفى فيها على الموت ، قال : فاروا ماءه لابن الجزار الطبيب ـ قال : ليس يفلت الخمسة ابدا ، وهو ميت . فلما رجع الرسول من عنده قال له المؤدب : ما قال لك ابن الجزار ؟ فسكت الرسول ، فقال له : اقال لك اني اموت من هذه العلة ؟ فقال : يا مؤدب لا تسأل عن هذا . قال : فقال لهم : اشتروا لي لحم بقرة وباذنجان وقرعا واعملوا اسكباجا محمرا واشتروا لي خبزا نقيا فعملوا له ذلك ، ثم اكل الجميع من الخبز ، ثم قال لهم : دثروني ، فدثروه فعرق عرقا عظيما . فلما كان بعد العصر افاق من غمرته ووجد الراحة ، فقال لهم : اعطوني قرقي وعصاي ، فاعطوه ذلك فمضى الى دار الجزار ، فقال لي ابي فاخبرني بعض من كان قال : نحن جلوس معه تلك العشية حتى سمع حس قرق . قال : وثب ابن الجزار وقال : هذا حس قرق الهواري ، وطلع الدرج ورد الباب ووقف خلف الباب حتى طلع الهواري فقال : اين هذا الجزار ابن الجزار الذي يقطع في حكم الله و ( يحكم ) عليّ بالموت ؟ وحق هذه القبلة لو وجدته جالسا لجعلت عصاي هذه بين اذنيه ، قولوا له : ياكذاب هذا انا صحيح سويّ ، بهذه العصا احارب الرجال ، ثم مضى »

وواضح منذ بداية الكلام ( الاشارة الى مذهبه ) ان القصة دس من قبل بعض خصومه

ويقول في ذلك حسن حسني عبدالوهاب[١٣] « ان اصحاب الطبقات من الافارقة المالكيين تغافلوا

---

(***) ابا جعفر ابقيت حيا وميتا
ـ مفاخر في ظهر الزمان عظاما
رايت على زاد المسافر عندنا
ـ من الناظرين العارفين زحاما
فابقيت ان لوكان حيا لوقته
ـ يحنا لما سمى «التمام» تمامًا
ساحمد الفالا لاحمد لم تزل
ـ مواقعها عند الكرام كراما
( ابن ابي اصيبعة ـ العيون ـ ص : ٤٨١ ) .

عن ايراد ترجمته في مصنفاتهم ، لاننا لم نر ما بينهم من تكلم عليه لا بالكثير ولا بالقليل » .

وجدير بنا هنا ان نذكر شهادة ابن جلجل[١٤] الذي يكذّب امثال هذه القصص « وكان قد اخذ بنفسه مأخذا عجيبا ـ سمته وهديه ومقوده . ولم تحفظ عليه بالقيروان زلة قط ، ولا اخلد الى لذة ، وكان يشهد الجنائز والعرائس ؛ ولا ياكل فيها ولم يركب الى احد من رجال افريقية ( اى تونس ) ولا الى سلطانها ، الا الى ابي طالب عم معدّ ( اى الملك المعزّ ) ، وكان له صديقا قديما ، وكان يركب اليه كل جمعة لا غير » .

ونقل عنه ياقوت[١٥] « كان احمد طبيبا حاذقا دارسا ، كتبه جامعة لمؤلفات الاوائل ، حسن الفهم لها ، وكان مع حسن المذهب صائنا لنفسه » وقال ايضا « انه لم يكن يقصد احدا الى بيته » .

وربما كان لهذا الموقف المنعزل سببا آخر هو الفوضى وكثرة الحروب ، والاضطرابات التي شاهدتها البلاد منذ قيام الدولة الفاطمية في المهدية واستلام امور الحكم رجال من كتامة ودليلنا على ذلك انه في كتابه « اخبار الدولة » على ما يذكر ابن ابي اصيبعة[١٦] وصف رجال دولة الامام ابي عبدالله المهدي ، على لسان استاذه اسحق بن سليمان فيقول « فلما وصل ابو عبدالله داعي المهدي الى رقّادة ادناني وقرب منزلتي ، وكانت به حصاة في الكلى ، وكنت اعالجه بدواء فيه العقارب المحرقة فجلست ذات يوم مع جماعة من كتامة ، فسالوني عن صنوف من العلل ، فكلما اجبتهم لم يفقهوا قولي . فقلت لهم : انما انتم بقر وليس معكم من الانسانية الا الاسم . فبلغ الخبر الى ابي عبدالله فلما دخلت عليه قال لي : تقابل اخواننا المؤمنين من كتامة بما لا يجيب ، وبالله لولا انك عذرك بانك جاهل بحقهم ، وبقدر ما صار اليهم من معرفة الحق واهل الحق لاضربن عنقك » .

والذي اعتقده ان الحكاية هذه ايضا من اختلاق الاسرائيلي الذي ربما فكر في اهل كتامة ما قاله ، ولكنه لم يقله ، اذ لا يعقل ان يقوم بذلك وهو غريب بين قوم من الاشداء البطاشين المتفذين .

ولكن القصة هذه تصف مقدار الجهل والتفاهة اللتين كانتا سائدتين في بلاط امراء الفاطميين وحاشيتهم ، كما ان ذكر ابن الجزار لهذه القصة بالذات يؤكد على ان نظرته الى اولئك الناس كانت مشبعة لنظرة استاذه ، فلا عجب وهو رجل العلم والفضيلة ان ينزوي ويبتعد عن تلك المجتمعات .

وتروي حادثة تؤكد وجهة نظرنا هذه ذكرها ابن جلجل[١٧] وعنه اخذها ابن ابي اصيبعة[١٨] « قال الذي حدثني : فكنت عنده ضحوة نهار اذ اقبل رسول النعمان القاضي بكتاب شكره فيه على ما تولى من علاج ابنه ، ومعه منديل بكسوة ، وثلاثمائة مثقال . فقرا الكتاب وجاوبه شاكرا ولم يقبض المال ولا الكسوة ، فقلت له : يا ابا جعفر رزق ساقه الله اليك . قال لي : والله لا كان لرجال معد قبلي نعمة » .

تدلنا اذا عدنا الى مقدمات كتبه وجدناها تختلف عن العادة المتبعة من قبل المؤلفين في ذلك الزمن . عند اهداء مؤلفاتهم الى الامراء والسلاطين مع سيل من المديح ، كذلك فقد كان بعضهم يمتدح نفسه شارحا الصعوبات التي لاقاها في جمع تلك المعلومات وتصنيفها الخ ...

اما ابن الجزار فلا نجد عنده شيئا من هذا.

اذ يبدا كتابه « سياسة الصبيان وتدبيرهم »[١٩] هكذا : « بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . قال ابو جعفر احمد بن ابراهيم بن ابي خالد : ان معرفة سياسة الصبيان وتدبيرهم باب عظيم الخطر ، جليل القدر .. » .

ويبدا كتابه « في المدة وامراضها ومداواتها »[٢٠] هكذا : « كتاب في المدة الفه للسيد الامير ولي عهد المسلمين بن امير المؤمنين عبده احمد بن ابراهيم بن ابي خالد المنطبب . قد علم خاصة الناس وكثيرا من عامتهم ان اكثر الناس فضلا واعظمهم قدرا ، اظهرهم للخير فعلا ، واسبغهم على الناس نعما ، وان اسعد الناس طرا جدا واوفرهم حظا من صرف رايه وهمته ولطيف عنايته الى الاجتهاد .. » .

وكلمته هذه كانما تعتذر عن الاهداء الى الامير ، واصراره على ان القيمة الكبرى تعود الى من يعمل في الاجتهاد فكره وانه يضع رتبة العلم فوق كل المراتب .

ويزيد عجبنا واعجابنا اذا ما علمنا ان السلاطين الفاطميين كانوا يحيطون انفسهم بهالة قدسية حرصوا على تعظيمها من ذلك قول المعز في رسالة وجهها الى الحسن الاقلعي القرمطي[٢١] « انا كلمات الله الازليات ، واسماؤه التامات ،

وانواره الشمشمانيات ، واعلامه النيرات ، ومصابيحه البينات ، وبدائعه المنشئات ، وآياته الباهرات ... » كما كان الخلفاء يلقبون بالقاب كثيرة منها : امام ، وصاحب الزمان ، وسلطان ، والشريف القاضي ، وكانوا يقرنون اسم الله سبحانه وتعالى بأسمائهم فنجد : المعز لدين الله ، العزيز بالله ... »

وكان يفحص مرضاه ، وقد اقام غلاما في سقيفة اقامها على باب داره ، وكان الغلام يدعى رشيقا ، وهو من الأسماء المستعملة بكثرة في العائلات التونسية في ذلك الزمان ، فكان بعد ان يفحص المريض يكتب له الوصفة فيدفعها اريض الى رشيق الذى اعد بين يديه جميع الدهانات والاشربة والادوية فيعطيه الادوية حسب الوصفة ويقبض الاتعاب . وذلك تنزها من قبل ابن الجزار ان ياخذ من احد شيئا .

ولا بد ان من الصفات ان يعطف على الفقراء وان يهتم بهم ويطببهم مجانا في اكثر الاحيان ، ودليلنا انه كرس للفقراء كتابا خاصا اسماه « طب الفقراء » وقال عنه ياقوت(٢٢) « وكان له معروف كثير ، وادوية يفرقها على الفقراء » .

ولا نعلم فيما اذا تزوج وانجب اولادا أم لا ؟ والاغلب انه لم يفعل شانه شان كبار العلماء كابن سينا والرازي وابن النفيس وغيرهم . وربما بسبب كثرة مرضاه ؛ فقد كسب مالا جيدا استطاع به ان يؤمن لنفسه حياة رغيدة بدليل انه كان يذهب كل صيف للاستجمام في المواسم الواقعة على شاطىء المتوسط والمشهورة بلطف مناخها ووجود رابطة فيها كانت مكانا للعباد والزهاد .

واقتنى الكثير من الكتب حتى وجد في بيته بعد وفاته ؛ على حد قول ابن جلجل(٢٣) ، خمسة وعشرون قنطارا من كتب طبية وغيرها ، ووجد لديه اربعة وعشرون الف دينار .

ولا شك ان في هذه الارقام بعض المبالغة ، كما هي العادة لدى المؤرخين القدامى بشكل عام ، ولكنها تدلنا على مدى مبلغ غناه ، ومبلغ زهده في قلة صرف المال ، ومبلغ اهتمامه بالعلم وباقتناء الكتب .

ولعل زهده نابع عن ايمانه وعن يقينه بتفاهة الحياة الدنيا يدلنا على ذلك كتابه « رسالة الى بعض اخوانه في الاستهانة بالموت » .

اما مؤلفاته فتدل على سعة ثقافته ؛ وعلو باعه في ميادين كثيرة اذ تناول الى جانب المواضيع الطبية مواضيع اخرى : كالفلسفية ككتابه « رسالة في النفس وذكر اختلاف الاوائل فيها » وفي التاريخ ككتاب « التعريف بصحيح التاريخ » وكتاب « اخبار الدولة » . وفي الثقافة العامة ككتاب « الفصول في سائر العلوم والبلاغات » وكتاب « نصائح الأبرار » اما كتبه الطبية فمنها ما يلفت النظر بشكل خاص :

اولها : رسالة في الزكام واسبابه وعلاجه .

ولا بد انها كانت ذات قيمة ومن المؤسف انها لم تصلنا ؛ لان القليل من المؤلفين العرب من تعرض الى هذا الموضوع .

وكان الرازي قد كتب مقالة في العلة التي من اجلها يعرض الزكام لابي زيد البلخي في فصل الربيع عند شمه الورود(٢٤) . فهل لها علاقة برسالة الرازي ؟

كذلك فله كتاب « في الفرق بين العلل التي تشتبه اسبابها وتختلف اعراضها » وهو موضوع كتاب الرازي « ما الفارق ، او الفروق ، او كلام في الفروق بين الأمراض »(٢٥) .

ومما يلفت النظر في قائمة مؤلفاته كتاب «مجربات الطب» ( ولعله نفسه كتاب : المختبرات. المذكور في القائمة ) والعنوان يذكرنا بعنوان كتاب الرازي : « التجارب او جراب المجربات »(٢٦) .

ولا نستطيع الجزم في العلاقة بين الاثنين بسبب فقدان كتب ابن الجزار . ولكن هذا يؤكد الاتصال الذى كان قائما بين الشرق والغرب .

وهنا يطرح السؤال نفسه ايضا عن العلاقة بين الاثنين خاصة وان الرازي توفي عام ٣١٣هـ / ٩٢٥م اي ربما قبل ولادة ابن الجزار او بعدها بقليل . وسنتعرض لباقي مؤلفاته الطبية في فصل خاص .

ولا بد لعالم كابن الجزار ، بلغ ذلك الشان، وذلك المقام ان يكون له تلامذة وان تجاوز شهرته حدود بلاده ومن تلامذته الذين اشتهروا حتى استحقوا ان يذكر ابن جلجل اسماءهم في طبقاته: ابو حفص عمر بن برىق(٢٧) الذي قصد القيروان وظل فيها ستة اشهر تتلمذ على يدى ابن الجزار، وهو الذى ادخل الى الاندلس كتاب « زاد المسافر » وخدم الناصر عبدالرحمن ( ٣٠٠ ـ ٣٥٠ ) هـ .

اما شهرته فقد جاوزت حدود بلاده بدليل

ان التميمي ( ابو عبدالله محمد بن احمد بن سعيد الحكيم المقدسي ثم المصري التميمي )[٢٨] المتوفي حوالي عام ٣٧٠هـ/٩٨٠م . وكان معاصرا لابن الجزار ، ذكره في كتابه الشهير « المرشد » .

ويقول لوسيان لوكير[٢٩] « كتاب المرشد ، نسبه ابن ابي اصيبعة ، مع انه كتاب ذو قيمة كبرى ..... ويعالج الفصل الرابع عشر موضوع الأحجار ونجد فيه ذكرا لابن الجزار ، مما يبرهن على شيئين : ان هذا المؤلف ربما كتب رسالة عن الأحجار ، وان المصنفين نسوا ذكره . وانه كانت توجد علاقات ما بين المغرب والمشرق ، اذ كان ابن الجزار معاصراً للتميمي » .

ويذكره ابن البيطار[٣٠] في مطارح عديدة من كتابه بل ويستشهد بكلمة من كتاب ابن الجزار « عجائب البلدان » .

اما كتبه الأخرى وخاصة التاريخية منها فقد اخذ عنها الكثيرون امثال : ابن ابي اصيبعة، وياقوت الحموى ؛ والقاضي عياض ؛ والمقريزي، وابو عبيد البكري[٣١] .

وقد كرس علي بن رضوان ( ٩٨٦–١٠٦٧م ) فصلا خاصا[٣٢] من كتابه « في دفع مضار الابدان عن ارض مصر » للرد على كتاب « في نعت الأسباب المولدة للوباء في مصر وطريق الحيلة في دفع ذلك وعلاج ما يخوف منه » وهو الفصل الخامس وعنوانه » في ان اكثر ما اعطاه ابن الجزار في الباب الأول من كتابه ان العلة في مرض الذين وفدوا من المغرب الى مصر هو كثرة اختلاف هوا مصر » .

## المصادر


١ ـ المقريزي تقي الدين ابي العباس احمد بن علي : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ـ دار صادر ـ بيروت ـ طبعة جديدة بالاوفست ، ص : ١٢٢ ـ ١٢٣

٢ ـ الجزرى ابن الاثير ابو الحسن علي بن ابي الكرم : الكامل في التاريخ ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ مطبعة الاستقامة ـ القاهرة .

٣ ـ المرجع رقم ١ ـ ص : ٤١٢ .

٤ ـ د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٥٨ ـ ص : ٩٢ .

٥ ـ د. الجاسر محمد طه : التحذير والانعاش في تاريخ الطب عند العرب ـ مجموعة ابحاث الندوة العالمية الاولى لتاريخ العلوم عند العرب ـ معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ـ مطبعة الجامعة ١٩٧٧ ـ ص : ٦٢١ .

٦ ـ المرجع رقم ٤ ص : ١٠٧ .

٧ ـ د. قطاية سلمان : مخطوطات الطب والصيدلة في المكتبات العامة بحلب ـ معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ـ المطبعة الحديثة بحلب ـ ١٩٧٦ ص : ٢٢١ .

٨ ـ المرجع رقم ٤ ص : ٨٨ .

٩ ـ القاضي ابن خلكان : كتاب وفيات الاعيان وانباء الزمان ـ المطبعة الميمنية بمصر ـ القاهرة ـ احمد البابي الحلبي ـ ١٣١٠هـ جـ ١ ص ٥١٤ ـ ٥١٥ .

١٠ـ ابن الجزار القيرواني : سياسة الصبيان وتدبيرهم ـ تحقيق وتقديم : د . محمد الحبيب الهيلة ـ الدار التونسية للنشر ـ تونس ـ ١٩٦٨ ، ص : ٣٤ .

١١ـ المصدر رقم ٤ .

١٢ـ المالكي ابو بكر عبدالله بن ابي عبدالله : كتاب رياض النفوس ص : ٢٣ .

١٣ـ المصدر رقم ١ ، ص : ٢٠٩ .

١٤ـ المصدر رقم ٤ .

١٥ـ المصدر رقم ٦ ، ص : ١٣٦ .

١٦ـ المصدر رقم ٥ ، ص : ٤٨٠ .

١٧ـ المصدر رقم ٤ .

١٨ـ المصدر رقم جـ .

١٩ـ المصدر رقم ٢٣ ، ص : ٥٧ .

٢٠ـ مخطوطة الخزانة الظاهرية رقم الورقة ١ ظهر .

٢١ـ المصدر رقم ١٧ ، ص : ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

٢٢ـ المصدر رقم ٦ : ص ١٢٧ .

٢٣ـ المصدر رقم ٤ ، ص ٨٩ .

٢٤ـ فريد روف . د. هاو و د. سلمان قطاية : تقرير الرازي حول الزكام المزمن عند تفتح الورد ـ مجلة تاريخ العلوم العربية ـ معهد التراث العلمي العربي ـ مجلد : ١ ، عدد ايار ـ ١٩٧٧ ص : ٥٧ ـ ٦٣ .

٢٥ـ الرازي ابو بكر : ما العارق ، او الفروق ، او الكلام في الفروق بين الامراض ـ تحقيق : د . سلمان قطاية ـ معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ـ مطبعة الجامعة ـ ١٩٧٨ .

٢٦ـ Dr. A. Z. Iskander : A Catalogue of Arabic Manuscripts on Médecine and Science - The Welcome Institut of the History of Medecine : London 1967 - pp. 116-117.

٢٧ـ المصدر رقم ٤ ، ص : ١٠٧ .

٢٨ـ المصدر رقم ٢٠ .

٢٩ـ المصدر رقم ٩ ، جـ ١ ص : ٣٨٠ .

٣٠ـ ابن البيطار : الجامع لمفردات الادوية والاغذية : جـ٢ ص : ١٦٧ .

٣١ـ المرجع رقم ١ ، ص : ٢٢٢

٣٢ـ ابن رضوان علي : « كتاب في دفع مضار الابدان من ارض مصر » مخطوط دار الكتب في القاهرة رقم : ١٠١ طـ .

## مؤلفاته

ذكر منها ابن ابي اصيبعة[1] ٢٧ كتابا، تناقلها من بعده الكثيرون امثال حاجي خليفة[2] ولقد اضاف البعض عليها مما وجدوه هنا وهناك في الكتب المختلفة بحيث بلغ عددها عند حسن حسني عبدالوهاب[3] : ٣٧ ،وعند محمد الحبيب هيله[4] : ٤٤ . نسرد منها ما وصل الينا معتمدين في ذلك على قائمة فؤاد سيزكين[10] :

١ ـ **كتاب اعتماد الادوية المفردة** ، وهو من الكتب المشهورة في الغرب[5] جدا ؛ وقد ترجمه الى اللاتينية اسطفان السرقسطي Stephanus de Caesaruguste

تحت عنوان :

Liber Fiduciae de Simplicibus Medicinis

وترجم مرة اخرى الى اللاتينية والى العبرية .

وكان قسطنطين الافريقي قد انتحله لنفسه، وكان شتاين شنايدر[6] اول من اكتشف هذه السرقة . وكان اسمه Liber de Gradibus والكتاب هو نفسه ما عدا العنوان فقد تغير .

المخطوطات العربية المتبقية موجودة في :

مكتبة ايا صوفيا تحت رقم : ٣٥٦٤ ( المقالات الثلاث الاولى اما الرابعة فهي غير موجودة اعتبارا من الورقة ١٤٠ وما يليها . منسوخ عام ٥٣٩ هجرية ) .

فيمكتبة لورانس في فلورانسا ( تحت الرقم: ١٢٥٦ ٣٧٤ الورقة ١٩٠ وما يليها ، القرن السادس للهجرة ) .

المتحف البريطاني في لندن رقم ٢٨٣٢/٤ ( قطعة واحدة ، الورقات : ٤١ ـ ٥٧ . عام ١٠٨١ هجرية ) .

مكتبة الجزائر تحت الرقم ١٧٤٦/٣ ( الورقات ١١٣ ـ ٢١٦ ؛ القرن العاشر للهجرة ).

وورد في كاتالوج الاب سباط الحلبي ان لدى[7] عائلة الجراح بحلب نسخة ايضا . وكان الاب سباط قد كتب قائمته هذه في الثلاثينات ، وكان معظم ما ذكره في حوزة العائلات المسيحية ، الا ان غالبية المخطوطات هذه لم تعد موجودة في حلب ؛ على ما نعلم ، لاسباب عدة : اما لان تجار الكتب قد باعوها للاجانب مباشرة او عن طريق بيروت ، بعد اغراء اصحابها ، واما انها اهديت لبعض رجال الدين الذين اهدوها بدورهم الى بعض المكتبات الدينية في لبنان[9] ، او على الاكثر الى مكتبة الفاتيكان .

وهكذا فلم تبق في حلب من الكتب في المكتبات المسيحية الطائفية الا المكتبة المارونية لان مؤسسها المطران جرمانوس فرحات اوقفها وقفا مؤبدا على كنيسة مار الياس بحلب .[8]

ومهما يكن من امر فاعتقد انه لا يزال في حلب وفي حوزة العائلات المسيحية والمسلمة بشكل خاص مخطوطات كثيرة ، ولكن اصحابها لا يصرحون بها اما خيفة ان تضع الدولة يدها عليها فتصادرها او تمنع خروجها من القطر ، او رغبة الحفاظ عليها كذكرى من الآباء والاجداد ، او طمعا ببيعها الى الاجانب باسعار فاحشة اذا ما اضطرتهم الظروف الى احتياج المال ، ولقد اطلعت شخصيا على بعض منها .

ومكتبة الرباط تحت الرقم ١١٢١ .

وفي الظاهرية بدمشق كتاب يحمل اسم « طبائع المقاقير على مذهب ابن الجزار » ورقمه طب : ٢٢ . وهو عبارة عن قسم من المقالة الرابعة يبدا بالورقة ٧٦ ( نسخ عام ٧١٠هـ )[9] .

وعدا عن اهتمام الكتاب بالعلوم الطبيعية فهو يهتم ايضا بالناحية اللغوية وذكر المترادفات واسماء العقار بعدة لغات .[10]

٢ ـ **زاد المسافر وقوت الحاضر** :

ترجمه قسطنطين الافريقي تحت اسم :

Viaticum peregrinantis

وسبق ان ذكرنا ما قاله قسطنطين في مقدمة الكتاب من واجب الحذر من المقلدين والمنتحلين .

وترجم الكتاب الى العبرية عام ١١٢٤م . ثم اعيدت ترجمته الى العبرية ايضا عام ١٢٥٩ من قبل ابن طيبون تحت عنوان : زيدات هادراخيم .

ويقول اولمان[11] « وهو الكتاب الذى تمتع بشهرة كبيرة في الشرق والغرب ، والغريب انه ( اى الكتاب بالنص العربي ) غير محقق بعد ... وكان قد اعد ليكون كتيبا ملازما للمسافر يستعمله عند وقوعه في الامراض وعدم وجود طبيب » .

المخطوطات العربية :

ازمير مكتبة ميللي رقم ٢٦٦٣٦ / ٥٠/٤٧٠ ( عدد الورقات ١٧٥ سنة النسخ ٩٧٢هـ ) .

---

(*) امثال مكتبة دير الشرفة والمكتبة الشرقية ببيروت

دريسدن ٢٠٩ ، كوبنهاجن ١٠٩، ( ١٨٤ ورقة ) البودلية ٣٠٢ ( ١٩١ ورقة. سنة ٧٣٨هـ ) باريس ٢٨٨٤ ( نسخة حديثة لمخطوطة دريسدن ) الجزائر ١٧٤٦ ( الورقات ١ ــ ٧٥ ؛ القرن العاشر هجري) تشستر بيتي ٥٢٢٤ (٥٠ــ٨٨ ١٠٥٤هـ)

المكتبة الطبية العسكرية في كليفلاند ٩٢/١ ( ١١٥٤هـ ) القاهرة ٣٧ طب مخزن ٣٧م ١ ــ ٣٩ ، القرن الحادي عشر هجري ) ؛ طهران مكتبة مالك ٤٤٨٧ ( ٩٩٤هـ ) الرباط ١٧٨١ ( ١ ــ ٢٢٢ ) حضرموت ١١٥٨هـ ) الاسكوريال ٨٥٢/١[١٣] .

ويعتقد سيزكين[١٠] واولمان[١١] ان ابن الجزار اعتمد على كتاب روفوس الافسي Rufus d' Ephese

وطبع الكتاب بترجمة لاتينية مرتين[١٢] .

ونشرت بعض من اقسامه في دراسات كثيرة[١٣] .

ويذكر اولمان[١٤] انه يحتوى على الاجزاء التالية :

الكتاب الاول : امراض الراس .
الكتاب الثاني : امراض العنق .
الكتاب الثالث : امراض اعضاء التنفس .
الكتاب الرابع : امراض المعدة والاحشاء .
الكتاب الخامس : امراض الكبد والكلية .
الكتاب السادس: امراض الأعضاءالتناسلية
الكتاب السابع : امراض الجلد .

**٣ ــ طب الفقراء والمساكين :**

توجد المخطوطات العربية في مكتبات التالية .

الفوطا رقم ٢٠٣٤ ( الورقات ١ ــ ٢٦ )
الاسكوريال ٨٥٧/٢ (الورقات ٦١ ــ ١٠١، ٩٠٧هـ) بورصة هاراجي ١١٢٦/١ ( ١ــ ٤٨ ، ٨٠٥هـ ) كامبريدج رقم : ١٠٢/١٢ الورقات ١ ــ ٢٦ ؛ ١١٢١هـ) باريس ٣٠٣٨ ( الورقات ١ ــ ٥٤ ) بغداد ، متاف ١٢٠٣ ( ١٤ ورقة القرن الثاني عشر للهجرة ) الرباط كتاني ٩٣٨ (٨٢ ــ ١٣٤ ، ١١٢٨هـ) مجموعة د . حداد ( بيروت )[١٥] .

**٤ ــ كتاب ابدال العقاقير :**

الاسكوريال ٨٩٥/٥ ( الرقات ٦١ــ٦٣ ) ، ودار الكتب المصرية القاهرة بعنوان : بدل العقاقير

**٥ ــ كتاب (( المعدة )) او (( في المعدة )) او (( في المعدة وامراضها ومداواتها )) :**

الاسكوريال ٨٥٢/٤ ( الورقات ٦٨ ــ ٨٩ ، ٥٧٥هـ ) المكتبة الظاهرية طب ٩٩ ( ١٣٩ ورقة ، ٦٩٥هـ ) المنحف العراقي ببغداد ٢١٠٣[١٦] .

وقد اقتبس الزهراوى وغيره من هذه المقالة في علاجهم الأمراض المعدة[١٧] .

**٦ ــ كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم :**

البندقية مكتبة مرسيانا رقم ٢٤٠ ، وفي مكتبة الاسكوريال القديمة : مجموعة من اقوال الاوائل في سياسة الاطفال .

والكتاب محقق على نسخة البندقية فقط ومنشور في تونس عن الدار التونسية للنشر عام ١٩٦٨ ،من قبل الدكتور محمد الحبيب الهيلة .

**٧ ــ طب المشايخ وحفظ صحتهم :**

خزانة احمد خيرى ــ البحيرة مصر ــ وتوجد في دار الكتب المصرية نسخة مصورة عنه رقمل طب ٥٦٣٦ .

**٨ ــ كتاب في فنون الطب والعطر :**

انقرة صالب ٥١٤٣ ( ١٨ ورقة ، القرن الثامن هجرى ) ، مكتبة وهبي ١٤٨١ ( ٦٢ ورقة ، ١٣٢٢هـ ) .

**٩ ــ كتاب الخواص :**

ذكره ابن ابي اصيبعة[١٨] ، وهو محفوظ في ترجمته اللاتينية والعبرية ، ويبحث هذا الكتاب في الادوية التي تسمى بالنوعية Sympathiques والتي نسميها الآن Spécifiques

وذلك لأن تأثيرها ذو ميزة خاصة وغير واردة فيالنظرية العامة للأمراض والعلاجات

**١٠ــ مداواة النسيان وطرق تقوية الذاكرة :**

وهو كتاب موجز موجه الى السلطان ، وموجود في ترجمته العبرية[٢٠] ومن الصعب التاكد من عنوانه الاصلي . وموجود بترجمته اللاتينية[٢١] .

ويقول عنه شبيبرجرت[٢٢] « ان هذه الدراسة القصيرة والتي يستشهد فيها الكاتب بمؤلف غير معروف حول المالنخوليا ، هامة جدا بعلاقتها بالترجمة اللاتينية ، وقد نشرها قسطنطين الافريقي وانتحلها لنفسه » .

**١١ـ كتاب البغية او كتاب في الادوية المركبة:**

جاء ذكره في فهرس الأب سباط[٢٣] وانه ملك الجراح .

**١٢ـ كتاب في الكلى والحصى :**

اشار اليه ابن الجزار في كتابه سياسة الصبيان وتدبيرهم .

وتوجد منه نسخة في المكتبة البودلية باكسفورد تحت رقم ٥٧٩د[٢٤] ويبدو ان معها ايضا نسخة من كتاب في الماليخوليا .

---

المؤلفات المفقودة التي لم يصل منها الينا سوى اسماؤها وقد اخذناها عن مجمل المصادر المذكورة في نهاية البحث ؛ ونكتفي بتعدادها دون شرح خاص بها :

١ ـ الأحجار .
٢ ـ اخبار الدولة ، او تاريخ الدولة .
٣ ـ اسباب الوفاة .
٤ ـ اصول الطب .
٥ ـ البلغة في حفظ الصحة .
٦ ـ التعريف بصحيح التاريخ .
٧ ـ رسالة في الادوية .
٨ ـ رسالة الى بعض اخوانه في الاستهانة بالموت .
٩ ـ رسالة في التحذير من اخراج الدم من غير حاجة دعت الى اخراجه .
١٠ ـ رسالة في الزكام واسبابه وعلاجه .
١١ ـ رسالة في المقعدة واوجاعها .
١٢ ـ رسالة في النفس وذكر اختلاف الاوائل فيها .
١٣ ـ رسالة في النوم واليقظة .
١٤ ـ زاد المسافرين في علاج الفقراء والمساكين ( ولعله جزء من زاد المسافر ) .
١٥ ـ طبقات القضاة .
١٦ ـ عجائب البلدان .
١٧ ـ المدة لطول المدة .
١٨ ـ الفرق بين العلل التي تشتبه اسبابها وتختلف اعراضها .
١٩ ـ الفصول في سائر العلوم والبلاغات.
٢٠ ـ قوت المقيم .
٢١ ـ كتاب السموم .
٢٢ ـ مجربات الطب | لعلها كتاب واحد ذو
٢٣ ـ المختبرات . | علاقة مع كتاب الرازي
٢٤ ـ مغازي افريقية .
٢٥ ـ مقالة في الجذام واسبابه وعلاجه ترجمه قسطنطين تحت اسم De éléphantiasis وانتحله لنفسه[٢٥] .
٢٦ ـ مقالة في الحمامات .
٢٧ ـ المكلل في الادب .
٢٨ ـ نصائح الأبرار .
٢٩ ـ النصح .
٣٠ ـ كتاب في نعت الاسباب المولدة للوباء في مصر وطريق الحيلة في دفع ذلك وعلاج ما يتخوف منه .

## المصادر


١ ـ ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ـ شرح وتحقيق : د . نزار رضا ـ منشورات مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ١٩٦٥ ، ص : ٤٨٢ .

٢ ـ حاجي خليفة : كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ١٩٤١ ـ ص : ٧٠ .

٣ ـ حسن حسني عبدالوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ـ مكتبة المنار ـ تونس ـ ١٩٧٢ جـ ١ ، ص : ٢٤٤ .

٤ ـ د. الهيلة ، محمد الحبيب : سياسة الصبيان وتدبيرهم ـ لابن الجزار القيرواني ـ الدار التونسية للنشر ـ تونس ـ ١٩٦٨ ـ ص ، ٢٦ ـ ٥٠ .

٥ ـ Fuad Sezgin : Geschichte der Arabischen Schrifttums : Leiden - E.J. Brill - I, pp. 301-307.

٦ ـ المصدر رقم ٥ ص : ٣٠٤ .

٧ ـ R. P. Paul Sbath: Al -Fihris Le Caire 1938. Imprimerie A. Chark Ière partie P. 76 n° 617.

٨ ـ د. فطاية، سلمان : المكتبات في حلب (ضياع المخطوطات) ـ مجلة عاديات حلب ـ معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ـ الكتاب الثاني ـ ١٩٧٦ ـ ص : ١٧٠ ـ ٢٠٥ .

٩ ـ د . حمارنة ، سامي خلف : فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية ( الطب والصيدلة ) مجمع اللغة العربية بدمشق ـ ص : ٤٤٤ .

١٠ ـ المصدر رقم ٥ ص : ٣٠٥ .

١١ ـ Ullmann Manfred : Der Medizin in Islam Leiden - Brill - 1970. p. 147.

١٢ ـ المصدر رقم ٩ ص : ١٢٣ .

١٣ ـ المصدر رقم ٥ ص : ٣٠٥ .

١٤ ـ المصدر رقم ١١ حاشية الصفحة : ١٤٧ .

١٥ ـ المصدر رقم ٩ ص : ١٢٣ .


←

## القيروان ومدرستها الطبية

لم يكن قبل وصول العرب الى تونس الا بعض القرى المتفرقة هنا وهناك الضعيفة المبنى ، القليلة المساكن ، وبعض الحصون المتلاشية في البراري .

ولكن العرب حينما قدموا فاتحين لم يجدوا سوى خرائب مهدمة تعلوها مسحة من زخرف قديم ابلاه الدهر . و « عبثا يحاول بعض المغرضين من كتاب الافرنج اليوم اظهار البلاد التونسية في مظهر العمران الزاخر ، والزخرف البديع . مهد زاوة التمدين قبيل قدوم العرب وحين استيلائهم على افريقية ... فلو كانت في البلاد عاصمة قديمة تناسب الفاتحين لما ارتادوا سواها كما فعلوا بدمشق الشام ، وطليطلة ، ثم قرطبة بالاندلس »[١] .

واول مدينة اسسها العرب في تونس كانت القيروان اسسها القائد عقبة بن نافع عام ٥٠هـ . ونزل قوم من قبيلته « فهر » وهي من بطن قريش في الجهة الشمالية من الجامع ، وعرف الحي باسم منازل الفهريين .

ثم اعاد بناءها عام ٦٢هـ عندما عاد ثانية الى افريقيا .

وتوسعت المدينة وازدانت وجدد كبار الولاة الامويين وزادوا في معالمها فبنى حسان بن النعمان ديوانا للجند ، وآخر للخراج ، وديوانا للرسائل ...

واسس موسى بن نصير دارا لضرب العملة. وتقل اسواقها للتجارة والصناعة كافة المهن الامير يزيد حاتم المهلبي وبعد مرور مئة عام اصبحت القيروان مدينة كبيرة شهيرة تنافس البلدان الاسلامية في الشرق والغرب .

وفي اواخر القرن الثاني للهجرة نال بنو الاغلب التميميون الاستقلال بامارة[٢] افريقية ، ولم ينسلخوا عن الخلافة في بغداد ، فوصلت القيروان عصر الاغالبة الى مستوى رفيع من الحضارة والمدنية .

وانشأ الاغالبة مدينتين مجاورتين للعاصمة القيروان وهما العباسية ثم رقادة واتخذوهما مقرا لسكناهم ومركزا لمصالح الدولة فيهما .

ولم يؤثر ذلك على قيمة القيروان ومركزها من الناحية العلمية الثقافية بحيث كانت تجتذب اليها الطلاب من كل حدب وصوب .

ثم قام الأمير ابراهيم الثاني بتاسيس جامعة علمية ( هي دار الحكمة ) لدراسة الفلسفة والطب والفلك وتقويم البلدان في مدينة رقادة مقلدا بذلك بيت الحكمة الذي انشاه الخليفة العباسي المأمون في بغداد .

وزوده بالكتب الكثيرة ، وكان يرتاده العلماء من كل انواع الاختصاص ، فترجمت كتب كثيرة، والف غيرها .

وعندما استولى الفاطميون على تونس اهملت القيروان لأنها كانت معقلا من معاقل السنة المالكيين . وبنى عبيد الله عاصمة جديدة له اسماها المهدية . ولكن تاثير القيروان كان قد ذهب بعيدا الى فارس وقرطبة .

وكان في القيروان بيمارستانا هو الاول من نوعه في افريقية انشيء في مكان يدعى « الدمنة » فاصبح اسم المستشفى « الدمنة »[٢٣] .

ويبدو انه كان كبيرا فيه اكثر من ثلاثين غرفة للمرضى ، وكان يزوره الاطباء ، كما كان يزوره امراء الاغالبة في المناسبات لتفقد احوال المرضى واشهر من اهتم به زيادة الله الاكبر . كما الحقت به مجذمة .

وكان الوجهاء الاغنياء يتبرعون بالمال والعطايا لمساعدته .

وظل المستشفى قائما حتى خراب القيروان من جراء الزحفة الهلالية في منتصف القرن الخامس للهجرة .

ومن المؤسف انه لم يصلنا وصف مفصل

---

→

١٦ ـ المصدر رقم ٤ ص : ٤٤ . وهذا خطأ لان المخطوطة هذه هي لطب الفقراء والمساكين .

١٧ ـ المصدر رقم ٩ ص : ٢٥٦ .

١٨ ـ المخطوطة رقم ١ ص : ٤٨٢ .

٢٠ ـ المصدر رقم ٥ ص : ٣٠٦ رقم : ١٠ .

٢١ ـ G. Brockelmann : Geschichte der Arabischen Litterature. Tome I p. 275 SI. p. : 424.

٢٢ ـ Schipperges

٢٣ ـ المصدر رقم ٧ ص : ٧٦ رقم : ٦١٨ .

٢٤ ـ المصدر رقم ٢١ ص : ٢٧٥ رقم : ٦ .

٢٥ ـ المصدر رقم ٥ ص : ٣٠٧ ـ الملاحظة في اخر البحث .

ودقيق للبيمارستان القيرواني ولكننا نجزم بانه كان لا يقل تنظيما عن مثيلاته من بيمارستانات الشرق[٤] كالبيمارستان العضدى .

والمعلوم انه كان لكل بيمارستان اوقاف كثيرة تموله علاوة على الهدايا والهبات ؛ كذلك كان يعمل به عدد وافر من الاطباء كل في اختصاصه[٥] : كالجراحي ، والكحال ، والطب الداخلي . وكان للأطباء رئيس ؛ فيه قسم للأمراض السارية الخطرة كالجذام ؛ وقسم للمجانين . وصيدلية يقوم عليها صيدلي ومساعدون .

وكان البيمارستان عبارة عن مدرسة طبية أيضا فيها اساتذة كبار وطلاب من مختلف الأصقاع والاقطار[٦] ، ومكتبات عامرة .

ونظرا للمكانة التي كان يتمتع بها ابن الجزار فلا شك بأنه كان استاذا في هذا البيمارستان ؛ الشيء الذى دفعه الى تاليف الكتب العديدة لحاجة الطلاب لها . كذلك طلابه الذين تخرجوا عنه ، والاطباء الكثيرون الذين ذكروا مؤلفاته في كتبهم .

وهكذا تشكلت في القيروان مدرسة طبية تدعى بالمدرسة الطبية القيروانية . وتضم « المدرسة القيروانية الطبية » لفيفا من مشاهير الأطباء العرب .

وكان أول من بدأ الطب فيها اسحاق بن عمران[٧] ، وهو مسلم النحلة ، على عكس ما يوحي به اسمه . وكان يلقب بسم ساعة اى انه كان سريع شفاء المرض . ولد ونشأ في بغداد ولا نعرف عن نشاته الا القليل ولكننا بمقارنة الزمن الذى عاش فيه ، لابد انه قد اخذ عن اكابر العلماء في ذلك في « بيت الحكمة العباسي » وبلغ من شهرته ان استدعاه الخليفة الاغلبي زيادة الله . وقصة وروده الى افريقية والشروط الثلاثة التي وعد بها الخليفة ثم حنث بها مشهورة .

وهكذا قتل ابن عمران عام ٢٩٤ او ٢٩٥هـ ( ٩٠٧ — ٩٠٨م ) ، ولم تلبث دولة الاغالبة بعد وفاته بقليل ان انهارت[٥] .

وقضى في تونس قرابة العشرين عاما . ويذكر ابن ابي اصيبعة[٨] له : ثلاثة عشر كتابا في مختلف المواضيع الطبية .

فيكون اسحق راس المدرسة الطبية القيروانية التي كانت امتدادا للمدرسة الشرقية البغدادية وجزء منها .

ومنها ايضا : اسحاق بن سليمان الاسرائيلي [٩] وهو استاذ احمد ابن الجزار ، نشأ في مصر وتعاطى الكحالة ؛ ثم قدم الى تونس لخدمة الامير زيادة الله الثالث عام ٢٩٢هـ/٩٠٥م ؛ وتتلمذ على ابن عمران . وعمّر طويلا ، حوالي المئة سنة .

وعندما انتهت دولة الاغالبة ، انقلب عليهم وانضم الى خدمة عبيد الله المهدي ، وكان الى جانب براعته في الطب بارعا في المنطق والفلسفة .

« وكان معاصروه من يهود افريقية يجلونه اجلالا عظيما حتى انهم اسندوا اليه رياستهم الدينية . وقد الف لهم كثيرا من الكتب في تفسير تعاليمهم كما سن لهم تقاليد شرعية ساروا عليها الى زمن الزحفة الهلالية وبعدها بقليل »[١٠] .

وله كتب كثيرة ، كان يفتخر باحدها وهو كتاب الحميات الذي ترجمه قسطنطين الافريقي الى اللاتينية ؛ وهو الكتاب الوحيد الذى لم ينتحله لنفسه وذكر اسم مؤلفه الحقيقي ... ربما لقلة اهميته .

ومن أطباء القيروان ايضا : بنو الجزار .[١١] اولهم عم احمد ، الذى تتلمذ على ابن عمران وتلميذه الاسرائيلي ؛ كما اخذ عنه احمد وصفات طبية عديدة يذكرها في كتبه .

وابراهيم بن الجزار ، والد احمد ، كان كحالا ويعمل مع اخيه .

ومن اطباء المدرسة القيروانية ايضا زياد بن خلفون[١٢] ، وخدم المهدى .

ويصفه ابن عذارى[١٢] بقوله « وكان زياد ابن خلفون عالما بالطب حسن الذهن فيه وكان عبيد الله قد احتاج الى زياد فقربه من نفسه » .

وقتله بعض حساده في القيروان عام ٣٠٨هـ / ٩٢٠م .

ومن المعلوم ان اطباء ذلك الزمان كانوا يجمعون العلم والادب والفلسفة ؛ الا ان ابن ظفر[١٤] غلب عليه الادب ، اذ كان شاعرا واديبا ؛ قال عنه ابن عذارى « كان اديب دهره ، وظريف عصره ، علما وفقها واديبا ووفاء » ولم تقتصر شهرة وتأثير وفضل المدرسة القيروانية على افريقية والمغرب والاندلس ؛ بل كان لها باع طويل

(*) انتهى زيادة الله الاغلبي نهاية بائسة فقد هرب الى مصر بعد ان استولى عبيدالله على الحكم ، ثم الى القدس حيث توفي فيها فقيرا بائسا .

في نشر العلم في اوربا نفسها ،وتأسيس احد اركان النهضة الاوربية .

اذ انتشرت العلوم الطبية العربية الى اوربا عن عدة طرق : الاندلس ، وذلك بالترجمات التي جرت بشكل خاص في طليطلة على يد جيرار الكريموني .

ومباشرة عن الشرق عن طريق الحروب الصليبية والطرق التجارية ؛ وبعض الرحالة امثال الياجو الذى زار دمشق ومكث فيها ردحا من الزمن وترجم بعض الكتب .

او عن القاهرة والاسكندرية بالطرق نفسها.

كذلك عن طريق صقلية جدا الا وهو : جزيرة صقلية ومدرسة ساليرنو في جنوب ايطاليا .

وعن هذه الطريق الاخيرة انتشرت المدرسة الطبية القيروانية . وكان في ساليرنو مستشفى منذ القرن السابع ميلادى ؛ وانشأت فيها مدرسة طبية . وفي بداية القرن العاشر جعل الملوك يستدعون اطبائها ويترددون عليها للعلاج .[15]

اما بالنسبة لتأسيس هذه المدرسة فنوجد عدة فرضيات منها انها اسست من قبل اربعة اشخاص : عربي اسمه عادل (Adila) ويهودي اسمه هيليتوس ، ويوناني اسمه بونتوس. ولاتيني يدعى ساليرنوس .

ولكن طب ساليرنو كان اغريقيا لاتينيا .

وشعر امراء المدينة بتفوق الطب العربي وتقدمه ، فبدأ الملوك النورمانديون امثال فريدريك الثاني بتشجيع العلماء العرب على القدوم اليهم ، وعلى ترجمة كتبهم .

لذلك فعندما قدم قسطنطين الافريقي الى ساليرنو كانت التربة مهيئة لغرس الطب العربي فيها .[16] حسب ما جاء في سيرته التي كتبها بيير داكر P. Dacre

وحياة قسطنطين قبل قدومه الى ساليرنو : تكتنفها شبه مجهول وخرافي اذ يقال انه ولد في قرطاجنة ( التي تعني تونس على الأكثر )[17] ، ثم ذهب الى العراق وسوريا ومصر ، ومنهم من يضيف الحبشة والهند . وعندما عاد الى تونس من جديد اتهم بالسحر والزندقة فهرب الى ساليرنو.

الا اننا لا نجد لاسمه ذكرا في كتابات الاطباء او المؤرخين العرب .

كذلك فان العلم في تونس كان قد بلغ شأوا عاليا فلماذا اتهم بالسحر ويهرب سرا ؟! .

كلها اسئلة لا تزال بدون جواب ؟! .

المهم انه تونسي ( ١٠١٥ – ١٠٨٧م ) نقل العلم العربي الى اوربا .

وكما يقول لوكلير[18] « ان ذلك لا يعني الا شيئا واحدا وهو انه جزء من المدرسة العربية ... وقد سبب في اوربا بداية النهضة الطبية ولهذا فان مكانته ستظل هامة في تاريخ طب العصور الوسطى » . ويبدو انه كان مسلما ثم تنصر .

اما كارل سوهوف K. Sudhoff فيقول بانه كان تاجراً فذهب الى ايطاليا واتصل هناك بالامير الحاكم الذي كان طبيبا ، وعندما تحقق من هبوط المستوى العلمي الطبي عاد الى تونس مدرسة الطب مدة ثلاثة سنوات وبعد ان جمع عدداً كبيراً من الكتب العربية عاد إلى ايطاليا ودخل في الدين المسيحي بعد ان كن مسلما واصبح راهباً في دير مونتي كاسينو حيث بدا بترجمة الكتب الطبية العربية .

ولقد ناقش ابن يحيى بو بكر في دراسته عنه عدة نقاط فاستطاع ان يؤكد انه كان مسلما ثم تنصر ؛ وانه لم يكن طبيباً وربما لم يزاول الطب قط ؛ ولم يكن مترجما فقد انتحل الكتب لنفسه وعمد الى حذف كل اسماء الاطباء العرب من الكتب التي ترجمها خيفة افتضاح امره وحرصاً على الظهور بمظهر العالم .

ويعتقد ابن يحيى انه كان يتصرف في الكتاب الذي يترجمه بحيث يصبح اقرب الى الاقتباس او الاعداد منه الى الترجمة .

اما القسم الثاني من حياته فهو معروف اذ انه بعد ان تعرف على امير ساليرنو دخل في رهبنة مونتي كاسينو ، وكتب كتبا كثيرة . ذهب بهدا تلميذه حنا Joan الى نابولي ومات هناك . وهو عربي فاسي الاصل .

ويقول لوكلير[19] « يعطي ( قسطنطين ) اسم المؤلف الحقيقي للكتب التي ترجمها مرة واحدة فقط .[*] بينما في الكتب الاخرى ؛ وهي اهم ما ترجمه ؛ لا يكتفي بكتمان الاسم الاصلي للمؤلف ،

---

Cahins autumie - 1955 - pp. : 49-59.

(*) هو اسم اسحق بن سليمان الاسرائيلي مؤلف كتاب الحميات كما سبق وقلنا .

بل نجده يضع في المقدمة اسماء اطباء يونانيين ، كما لو انه كان يريد تقديم البديل » .

اما كتاب ابن الجزار « زاد المسافر » فقد ترجمه تحت اسم Viatique ولم يذكر اسم ابن الجزار .

كذلك فعل بكتاب علي بن العباس المجوسي: الكتاب الملكي اذ ترجمه تحت اسم Pentagni

والاقبح انه كتب في مقدمة كتاب ابن الجزار ما يلي[٢٠] « انا ، قسطنطين راهب مونتي كاسينو، اعمل لخير الجميع ؛ لقد نشرت كتاب بانتا غني، حيث يجد البعض فيه النظريات ، ويجد البعض الآخر النظرى العملي اما بالنسبة للمبتدئين : فقد الفت كتابا اسهل ... واذا ما وضع بعضهم انيابهم على الكتاب ، فلسوف القي بهم نياما في ضلالاتهم ... اعتقدت بانه من الضروري ان انبّه الى هذا ؛ لأن رجالا حسودين من عمل الآخرين ، عندما يقع بين ايديهم كتاب غريب ، فسرعان ما ينتحلونه لانفسهم ويضعون اسمهم عليه » . ؟

وهذا ما كان يفعله هو تماما . اذ كان ينتحل الكتب التي يترجمها لنفسه. وترجم مع مساعديه قرابة الاربعين كتابا .

وقد ترجم « زاد المسافر » الى اليونانية . ويعتقد لوكلير ان قسطنطين قد ترجمه بمساعدة احد الرهبان لانه لم يكن يتقن سوى اللاتينية .

وانتشر العلم العربي من مدرسة ساليرنو الى سائر جامعات اوروبا اذ ان جمعا منهم[٢١] ذهب عام ١١٦٠م الى جنوب فرانسا وخاصة مونبليه التي تعد وريثة ساليرنو . التي انتهت بنهاية القرن الثالث عشر وانتهت رسمياً عام ١٨١١ حينما اغلقت رسمياً . ومن علمائها بيير جيل دوكوربي(*) الذى نقل تعاليمها الى مونبيليه ثم باريس واصبح طبيب الملك فيليب اوغست . ولقب « برسول ساليرنو عبر الالب » .

وكان لها ايضا تاثير كبير على جامعات باليرمو ، وبولونيا ، وبادوفا ، في ايطاليا . وهي المدارس التي انطلقت منها النهضة الاوروبية .

وهكذا وكما يقول لوكلير « نعتقد مع دالا نبرع اننا مدينون له ( لقسطنطين ) بالكثير لأنه فتح عيون اللاتينيين على كنوز الشرق وبالنتيجة على اليونان وانه يستحق لقب منظّم الغرب بالرسائل الطبية الشرقية ؛ وانه من العدالة ان يقام له تمثال قرب ساليرنو » . وكان الفضل في هذا يعود الى التونسي قسطنطين سليل المدرسة القيروانية العربية . لذلك فمن المعقول اكثر ان يقام له تمثال في قرطاجة .

(*) Pierre-Gilles de Corbeil الذي كان استاذا في كلية الطب بباريس والف ارجوزة طبية نقليا للاطباء والعرب وفيها مقاطع هامة ماخوذه من كتاب البول لاسحق بن سليمان .

## المصـــادر


١ ـ عبدالوهاب حسن حسني : وردت عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ـ القسم الاول ـ مكتبة المنار ـ تونس ـ الطبعة الثانية ١٩٧٢ ـ ص : ٤١ .

٢ ـ عبدالوهاب حسن حسني : ص ٦٤ .

٣ ـ عبدالوهاب حسن حسني : ص ٢٧٣ .

٤ ـ د . عيسى بك احمد : تاريخ البيمارستانات في الاسلام ـ المطبعة الهاشمية ـ دمشق ـ ١٩٣٩ ص : ١٧٨ .

٥ ـ د . عيسى بك احمد : ص ص : ١٨ ـ ٤٣ .

٦ ـ د . قطاية سلمان : التعليم الطبي عند العرب ـ مجلة « الباحث » ـ العدد الرابع ـ اذار ١٩٧٩ ـ باريس .

٧ ـ ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ـ دار الحياة ـ بيروت ـ ١٩٦٥ ـ ص : ٤٧٨ .

٨ ـ ابن ابي اصيبعة : ص : ٤٧٩ .

٩ ـ ابن ابي اصيبعة : ص ص : ٤٧٩ ـ ٤٨٠ .

١٠ ـ المصدر رقم ١ ، ص : ٢٣٧ .

١١ ـ المصدر رقم ١ ص : ٢٣٩ .

١٢ ـ المصدر رقم ١ ص : ٢٤١ .

١٣ ـ المصدر رقم ١ ص : ٢٤٢ .

١٤ ـ المصدر رقم ١ ص : ٢٤٢ .

١٥ ـ غليونجي : ابن النفيس ـ اعلام العرب ـ الدار المصرية للتاليف والترجمة ، القاهرة ، ص ١٤٩ .

١٦ ـ Lucien Lecrerc : Histoire de la Medecine Arabe - N.Y. - 1878-Tome I p. 539.

١٧ ـ Lucien Lecrerc : Histoir ede la Medecine Arabe - N.Y. - 1878 - Tome I p. 539.

١٨ ـ Lucien Lecrerc : Histoir ede la Medecine Arabe - N.Y. - 1878 - Tome I p. 540.

١٩ ـ Lucien Lecrerc : Histoir ede la Medecine Arabe - N.Y. - 1878 - Tome I p. 540.

٢٠ ـ Lucien Lecrerc : Histoire de la Medecine Arabe - N.Y. - 1878 - Tome I p. 356.

٢١ ـ المصدر رقم ١٥ ، ص : ١٥١ .